الأصول العقدية للإباحية عند بعض غلاة الصوفية

الدكتور/ يوسف بن محمد المحمادي

استاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد بجامعة الباحة

كلية العلوم والآداب بالمندق

المستخلص

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين .... وبعد:

ففي هذا البحث المعنون بـ (الأصول العقدية للإباحية عند بعض غلاة الصوفية)

والمكون من مقدمة وتمهيد وستة مباحث.

التمهيد وفيه: التعريف بالصوفية وانقسامها إلى: تصوف بدعي، وتصوف غالي فلسفي.

وبيان مدى العلاقة بين العقيدة والسلوك.

أما مباحث الدراسة فتناولت: الأصول الاعتقادية المؤثرة على سلوك المتصوفة المؤدية ببعض غلاتهم إلى الفساد الأخلاقي والإباحية الجنسية، ومن أشدها: القول بوحدة الوجود القائمة على اعتقاد أن وجود العالم عين وجود الله، مما آل بالمتصوفة إلى عدم التفريق بين صفات الخالق والمخلوق، وتجلي الله في بعض مخلوقاته بما فيه من النساء والأولياء فنتج القول بالعشق الإلهي وتقديس الأولياء، وجعلت جميع الأفعال الصادرة عن الناس حسنها وقبيحها محبوبة إلى الله فوقع الانحراف في القدر، ونتج عن هذا كله: القول بإسقاط التكاليف، وأضافوا مع هذه القبائح، القول بالإرجاء في الإيمان معتبرين أن من دخل في الإسلام وتسمى بالإيمان لم يضره ذنب مهما اقترف.

أهداف البحث:

١- الكشف عن العلاقة والتلازم بين العقيدة والسلوك.

٢- الوقوف على أثر المعتقدات الفاسدة على سلوك الأفراد والمجتمعات.

٣- التنفير من البدع والمبتدعة ومن سلوك سبيلهم.

منهج البحث: سار فيه الباحث وفق المنهج الاستقرائي والتحليلي والوصفي.

أهم النتائج:

٤- تأثير عقائد الصوفية على انحراف سلوكهم.

٥- إن الاقتصار على غلاة الصوفية ليس للحصر. فبعض الفرق كفرق الباطنية ظهرت فيها الإباحية بشكل أكبر.

٦- لا يلزم أن كل من اعتقد بشيء من هذه الأصول أن يقع في الإباحية.

أهم التوصيات:

٧- توجيه الباحثين في الكتابة في مسائل التصوف، وكشف خطرها.

٨- تكثيف الجهود في نشر العقيدة الصحيحة، والتحذير من العقائد المنحرفة.

الكلمات المفتاحية: أصول . عقائد . إباحية . غلاة . فرق . تصوف

A Research Summary

Praise be to Allah, Lord of the world Peace and blessings be upon the honorable amongst the prophets and messengers

In this research entitled (**The Faith Origins of the Obscenity According to Some of Ghulat Sufism**) which consists of an introduction, a preface and six chapters.

In the preface, there is a definition of the Sufism and the illustration that it has two parts: Heretical Sufism and Philosophical Ghulat Sufism. And the explanation of the relationship between belief and conduct.

The research dealt with the belief foundation influencing the behavior of Sufis and leading some of its followers to sexual obscenity and moral corruption, and the most influential origins: the unity of existence based on the belief that the existence of this world is appointed the existence of Allah, and this belief led the Sufis to not differentiate between the characteristics of the creator and the creature, and that God manifests in some of his creatures, such as women and righteous people, and all the act issued by the people are beloved to Allah Almighty, so the deviation occurred in fate, and the result of that was: believing of dropping the provisions, and they added with these ugliness, believing of the postpone in the faith , considering that whoever

entered Islam and called himself faithful are not harmed after sin no matter how big sins are committed.

The Research Goals:

١ – revealing the relationship between belief and conduct.

٢ – Focusing on the impact of deviant beliefs on the behavior of individuals and communities.

٣ – indisposing heresy, heretic and following their path

The Most Important Results:

١ – The restriction to the Ghulat is not exclusive, for some of the Batiniyya shows more obscenity.

٢ – It does not require that anyone who believe in these principles fall in obscenity, but most of those who fell in them have had a clear impact on them.

The Research method:

The research according to inductive, analytical and descriptive method

Recommendations:

١ – Guiding the researchers to write about Sufism and revealing its danger.

٢ – Intensifying efforts in spreading the righteous faith and warning against deviant beliefs.

Key Words: Origins – doctrine/faith – Obscenity – Ghulat – Branches – Sufism

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... وبعد:

فإن للعقيدة أثرا كبيرا على حياة الناس أفرادا ومجتمعات، وبحسب سلامة معتقد الإنسان وقوة إيمانه يكون أثر ذلك عليه في شؤون حياته وعباداته وسلوكياته، فالعلاقة طردية بين الإيمان والأخلاق، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: "**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقا**" (١). وفي المقابل فإن فساد المعتقد وضعف الإيمان مدعاة للضعف في العبادة وفساد في السلوك والأخلاق غالباً، ويقع فساد العقيدة الإسلامية إما بالوقوع في الشرك المنافي للتوحيد، وإما في وسائل الشرك والبدع، وهي بلا شك من الضلال ومخالفة لما جاء به سيد المرسلين –صلى الله عليه وسلّم–، ومؤداها إهمال الأمر والنهي وعدم تعظيم النص الشرعي. والمتتبع لحال العديد من أتباع الفرق الغالية المنتسبة للإسلام يجد انحرافاً بيناَ في السلوك والأخلاق يصل أحياناَ إلى حد استباحة المحرمات والانسلاخ من تعاليم الدين وشرائعه الصحيحة، ومن أهل الأهواء والبدع من نحا نحو إشباع شهواته وغرائزه، متخذاً الدين غطاء في ظل معتقداته المنحرفة وأصوله الفاسدة، وهذا ما هو مشاهد في بعض الفرق الغالية المنتسبة للإسلام من مثل فرق الباطنية وبعض غلاة الصوفية، حيث ظهر في بعضهم الإباحية الجنسية، وهذا ثابت مدوَّن في كتبهم وفي كتب المقالات والفرق والتراجم، مما يجعل بعض الناس في حيرة كيف تُمارس الرذيلة باسم الدين وقد جاء الشرع بالتحذير منها؛ لذا جاء هذا البحث المعنون بـ : **(الأصول العقدية للإباحية عند بعض غلاة المتصوفة)**

لبيان نوع من هذه الإنحرافات، وفيما يلي عرض للدراسات السابقة وخطة البحث وأهدافه ومنهجه:

---

(١) أخرجه أبو داود (ص:٦٦١، ح: ٤٦٨٢)، والترمذي (ص:٢٨٢، ح: ١١٦٢) وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وأحمد (٢/ ٤٧٢)، والمنذري في صحيح الترغيب والترهيب (٣/٣٥٨)، والحديث مروي من طرق متعددة.

أولاً: أهمية الموضوع:

من ناحية قوة أثر الاعتقاد، وأن الانحراف فيه يؤدي إلى انحرافات متعددة أخلاقية وسلوكية سواء فيما بين الناس وخالقهم أو فيما بينهم. ومن ناحية دفع بعض التصورات عن العقيدة بأنها مجرد تصورات نظرية لا أثر لها بواقع الناس.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

١-لما للصوفية من أثر وانتشار في العالم الإسلامي، وتأثيرها على بعض الناس في دينهم وأخلاقهم.

٢-ميل النفوس إلى الشهوات، وسعي البعض لنيلها تحت مبررات ينسبونها للدين والشريعة؛ فكان لا بد من العلم الذي يعين على كشف الشبهات، واجتناب الشهوات.

ثالثا: أهداف البحث:

١- بيان مكانة التمسك بالعقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة، ونقائها وأثرها على الأفراد والمجتمعات.

٢- الكشف عن مدى العلاقة والترابط بين العقيدة والسلوك الإنساني.

٣- الوقوف على أثر المعتقدات الفاسدة على سلوك الأفراد والمجتمعات.

٤- التنفير والتحذير من البدع والمبتدعة ومن سلوك سبيلهم واتباع أهوائهم.

رابعا: الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتقصي لم أجد دراسة أكاديمية متخصصة تناولت هذا الموضوع في موضع واحد بهذه الكيفية وفي هذه الجزئية، وما وقفت عليه فهو إما كتابة لبعض المتقدمين أو دراسة عامة عن آثار التصوف ومن أبرزها:

١- فضائح الصوفية للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، وهو عبارة عن وصف لأحوال وفضائح المتصوفة في العقيدة والسلوك بشكل عام وموجز.

٢- مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية، رسالة ماجستير، تأليف إدريس محمود أبو عبد العزيز، من الجامعة الإسلامية، ويعد دراسة شاملة لانحرافات الصوفية وبخاصة في الإلهيات وعواملها، وبين فيه أهم الآثار السيئة التي نشرها الصوفية في الأمة الإسلامية، ولم يفصل في المسائل التي هي مقصد هذا البحث.

خامسا: منهج الدراسة والبحث:

سلكت الطريقة العلمية المتبعة في إعداد البحث من حيث عزو الآيات، والأحاديث، والإحالات، وجميع متطلبات البحث، وسرت فيه وفق المنهج الاستقرائي والتحليلي والوصفي:

- الاستقرائي: باستقراء بعض مؤلفات الصوفية وبعض كتب الفرق والمقالات، وكتب علماء السلف التي تناولت عقائد الصوفية وأحوالهم.
- التحليلي: من خلال تحليل ما وقفت عليه من عقائد وأقوال وبعض أحوال المتصوفة المتعلقة بموضوع البحث.
- الوصفي: بوصف أحوال غلاة الصوفية ونقل بعض أقوالهم، وما قيل عنهم في هذه الأصول.

سادسا: خطة البحث:

جعلت البحث في مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة.

التمهيد وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف موجز بالصوفية.

المطلب الثاني: العلاقة بين العقيدة والسلوك.

المبحث الأول: القول بوحدة الوجود، وأثره على أخلاق الصوفية.

المبحث الثاني: القول بالعشق الإلهي، وأثره على أخلاق الصوفية.

المبحث الثالث: الاحتجاج بالقدر، وأثره على أخلاق الصوفية.

المبحث الرابع: القول بالإرجاء، وأثره على أخلاق الصوفية.

المبحث الخامس: تقديس الأولياء، وأثره على أخلاق الصوفية.

المبحث السادس: القول بإسقاط التكاليف، وأثره على أخلاق الصوفية.

وختمت البحث بخاتمة بها أبرز النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع.

وأسأل الله تعالى أن يكون بحثا نافعا مفيدًا في بابه،وأن يجعله خالصا لوجه الله تعالى الكريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

التمهيد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف موجز بالصوفية.

المطلب الثاني: العلاقة بين العقيدة والسلوك.

المطلب الأول

تعريف موجز بالصوفية

اختلف في اشتقاق لفظ التصوف في الإسلام ونسبته على أقوال متعددة، فقيل نسبةً إلى أهل الصُّفَّة. وقيل نسبةً إلى الصف الأول، وقيل نسبةً إلى الصفاء والزهد.(٢)، وقيل نسبةً إلى قبيلة من العرب كانت تجاور مكة وتخدم الكعبة فيهم تنسك يقال لها: صوفة. (٣)، وقيل نسبةٌ إلى الاتصاف بالصفات الحميدة وترك الصفات الذميمة، ويريد المتصوفة بالصفات الحميدة: صفات الله، فيطلقون القول: (بالتخلق بأخلاق الله) (٤).

وقيل نسبة إلى "سوفيا " اليونانية ومعناها الحكمة، بحجة أنهم كانوا طالبين للحكمة حريصين عليها فأطلقت عليهم الكلمة وعربت أو حرفت فأصبحت صوفية وصوفي.

وقيل نسبةٌ إلى لبس الصوف الذي كانوا يلبسونه، وكان زيهم الذي اشتهروا به، وهو قول معتبر عند عدد من العلماء منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، مع رفض بعض العلماء والباحثين المعاصرين لهذه النسبة(٥).

---

(٢) ينظر: أسرار الأولياء (ص ١٢٩)، عن التصوف - المنشأ والمصادر (ص ٢٥).

(٣) ينظر: (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) للأصبهاني(١/١٧).

(٤) هذا القول يتفق مع ما جاء في أقوال بعض أئمتهم: كقول ابن عربي: (فاعلم ان التصوف تشبه بخالقنا لأنه خلق فانظر ترى عجبا) الفتوحات المكية (٢/٢٦٦)، وفي معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني(ص١٧٤): (التصوف: هو التخلق بالأخلاق الإلهية).

(٥) انظر: مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي لمحمود يوسف الشوبكي (مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، المجلد العاشر، ص٦ — ١٣)، وموضوع التصوف لطف الله خوجة (ص٤٧).

وعلى أية حال فالخلاف في نسبة مسمى الصوفية لا يغير من أحوالها وأصولها المبتدعة، وذلك أن التصوف مر بمراحل من حيث النشأة والعقائد، وقد تضاربت الأقوال في بداية ظهور التصوف وأرجح الأقوال أن التصوف ابتدأ في القرن الثاني الهجري، يقول المنوفي الصوفي: (ولم تطلق كلمة صوفية على جماعة بعينها إلا في القرن الثاني للهجرة)[٦].

وبداية التصوف كانت بأحوال وطقوس مبتدعة، ومن ثم تأثر بعقائد وأفكار بعض الديانات كالديانة النصرانية والوثنية البوذية والفلسفة اليونانية، وتشعبت الصوفية إلى طرق ومذاهب متعددة على رأس كل طريقة شيخ مقدس وله مريدون[٧]، وبهذا يمكن تقسيم التصوف بوجه عام، من حيث الأصول والعقائد التي تقوم عليها، إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: التصوف البدعي: ويقوم على الاعتناء بالسلوك وإلزام النفس الزهد في الدنيا، إلا أنه لم يخل من البدع المحدثة كالرهبانية والالتزام ببعض الأوراد والعبادات المخالفة التي لم يأت بها الدليل.[٨]

القسم الثاني: التصوف الغالي: المأخوذ من العقائد البوذية، والنصرانية والفلسفة اليونانية. والسمة البارزة على أرباب التصوف الغالي الفلسفي التمسك بالقول: بوحدة الوجود، والفناء، والحلول والاتحاد، والغلو في الأولياء.[٩] وقد كان لهذه العقائد وغيرها أثر كبير في تفشي الانحلال والانفلات من أوامر الشريعة، إلى درجة استباحة البعض منهم

---

(٦) جمهرة الأولياء (٢٦٩/١)، عن مختصر تاريخ التصوف لعلاء بكر (ص١٥).

(٧) منها الطريقة القادرية، والرفاعية، والسهروردية، والشاذلية. وغيرها من الطرق. انظر: مجموع الفتاوى(٧٠٥/١١)، التصوف المنشأ والمصادر (ص٤٣)، حقيقة التصوف وموقف الصوفية من العبادة (ص١٥-٢٠)، الطرق الصوفية د. عبدالله دجين (ص٢٩).

(٨) انظر: تلبيس ابليس (ص٣٠٧)، فرق معاصرة لغالب عواجي(٣/ ٨٨٥)، أصول الفرق د. سفر الحوالي (ص٦٠).

(٩) انظر: ظهر الإسلام (٨٤٤-٨٤٨)، فرق معاصرة لغالب عواجي(٣/ ٨٨٥)، أصول الفرق (ص٦٠).

للمحرمات، والفساد الأخلاقي والوقوع في الإباحية الجنسية، بحجج وأفكار شيطانية، وهو ما سيتبين من خلال المباحث الآتية بإذن الله تعالى.

المطلب الثاني

العلاقة بين العقيدة والسلوك

أولاً: تعريف العقيدة:

العقيدة في اللغة: من العقد، وهو الربط، والشد والعهد والملازمة والإحكام، والتأكيد.

والعقد ضد الحل، ويقال: عقده يعقده عقداً، ومنه عقد اليمين والنكاح(١٠).

والعقيدة اصطلاحا: هي ما عقد الإنسان قلبه عليه من أمور الدين، ودان الله عز وجل به (١١).

وتعرف العقيدة أيضا بأنها: تصميم القلب، والاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك في المطالب الإلهية، والنبوات، وأمور المعاد، وغيرها مما يجب الإيمان به(١٢).

ثانياً: تعريف السلوك: السلوك في اللغة: النفاذ في الطريق، يقال سلكت الطريق، أي عبرته، قال الله تعالى: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح:٢٠]، والمسلك: الطريق الذي سلكته، ويأتي بمعنى السيرة والتصرفات، فهو سيرة الإنسان القولية والفعلية(١٣).

وأما في الاصطلاح فهو بمعنى: العمل، فيكون سلوك الإنسان من مجموع أعماله، والتي تمثل الطريقة التي يسلكها في حياته.

وعرفه بعض الباحثين المعاصرين أمثال جمال الخطيب، وعلي أحمد علي : بالأفعال والتصرفات التي تصدر عن الفرد في مواقف الحياة المختلفة ظاهرة أو غير ظاهرة.(١٤)

(١٠) انظر: تهذيب اللغة (١/١٣٥)، الصحاح للجوهري (٢/٥١٠)، ولسان العرب (٣/٢٩٥).

(١١) انظر: الأسئلة والأجوبة الأصولية للسلمان (ص٢٣).

(١٢) انظر: المفيد في مهمات التوحيد د. عبدالقادر عطا (ص١٢).

(١٣) انظر: العين (٥/٣١١)، تهذيب اللغة (١٠/٣٨)، لسان العرب (١٠/٤٤٢).

(١٤) أساسيات سلوك الإنسان (ص٢٦)، وتعديل السلوك الإنساني (ص١٧).

ثالثاً: بيان التلازم بين العقيدة والسلوك:

العقيدة الصحيحة هي عقيدة أهل السنة والجماعة، التي تقوم على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. ولهذا الإيمان أثر كبير على سلوك الإنسان، وذلك أن مقتضى الإيمان الحقيقي يتضمن العمل الصالح، وقد دل القرآن الكريم في آيات متعددة على التلازم والترابط بينهما، كما في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[النساء:١٢٢]، فيتبين من هذه الآية التلازم بين العقيدة والعمل الصالح وترتيب الجزاء الأخروي، وكذلك فإن للعقيدة التي يحملها الإنسان أثرا كبيرا على سلوكه وأعماله وتصرفاته، وفي المقابل فإن فساد عقيدة الإنسان مؤثر سلبا عليه في سلوكه، وامتثاله لأمر ربه؛ لذلك نجد أن القرآن الكريم يربط بين العقيدة والتشريع بشكل واضح في آيات القرآن الكريم، وفي الأحاديث النبوية، من أوجه متعددة، منها على سبيل المثال:

الأول: الربط بين الامتناع عن المحرمات وتحقيق الإيمان كما في قوله تعالى في آية تحريم الربا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٧٨] .

الثاني: تذكير الله تبارك وتعالى في مواضع متعددة من القرآن ببعض صفاته عند الحديث عن بعض القيم، منها:

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٢٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨]..وغيرها من الآيات.

الثالث: تفسير بعض السلف الأخلاق بالدين كما جاء في قول الله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:٤]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي :" إنك على دين عظيم، وهو الإسلام ". [(١٥)]، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم: "**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**"[(١٦)] قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله : (ومن المعلوم أن أحبَّ خلقه إليه المؤمنون، فإذا كان أكملهم إيمانا أحسنهم خلقا: كان أعظمهم محبة له أحسنهم خلقا، والخُلق: الدين كما قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[القلم:٤]) [(١٧)].

الرابع:التذكير بالجزاء والحساب في الآخرة، حين الأمر بالقيام بالأعمال الصالحة والبعد عن المعاصي والآثام، من ذلك ما ثبت عَنْ عبد اللَّه بن عمر عن النَّبِي صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم قَالَ: "**لا يحلُّ لامْرأة تؤْمن باللَّه والْيوم الآخر تُسافر مسيرة ثلاث ليَال إلا ومعها ذُو مَحْرم**". [(١٨)]

الخامس: الارْتباط بينَ الإيمان وترك الكبَائر مَن الذنوب والآثام، ومثال ذلك ما ثبت عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِي صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم قَالَ: "**لا يزْني الزَّاني حين يزْني وهُو مؤْمنٌ ، ولا يسرقُ حين يسرقُ وهو مؤمن ، ولا يشْربُ الْخَمر حين يشْربهَا وهو مؤمن**". [(١٩)]

السادسَ: ما ورد من أن سببَ بعض المعاصي هو عدمَ الإيمان باليوم الآخَر، منها قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ

(١٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٢٩).

(١٦) تقدم تخريجه (ص٣).

(١٧) الاستقامة (ص٣١٤) .

(١٨) رواه البخاري، كتاب التقصير، باب في كم يقصر الصلاة؟ (ص:١٧٥)، (ح: ١٠٨٨)، ومسلم، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره،(ص٥٦٤)، (ح:٣٢٦٠) .

(١٩) رواه البخاري، كتاب: المظالم، باب: النهي بغير إذن صاحبه، (ص:٤٠٠)، (ح:٢٤٧٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي (ص:٤٥)، (ح:٢٠٢).

ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣﴾ [الماعون:١-٣]، وقد نص علماء السلف على هذا الارتباط بين العقيدة والسلوك من ذلك: قول الإمام الآجري: (إن الله عز وجل لم يثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم وقد رضوا عنه، وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة والنجاة من النار إلا بالإيمان والعمل الصالح، وقرن مع الإيمان العمل الصالح، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده حتى ضم إليه العمل الصالح الذي قد وفقهم إليه، فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقاً بقلبه وناطقاً بلسانه، وعاملاً بجوارحه...لا يخفى أن من تدبر القرآن وتصفحه وجده كما ذكرت...)(٢٠).

وفيما يتعلق بالارتباط بين انحراف السلوك والانحراف العقدي، وما حدث لبعض أهل الأهواء والبدع يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رحمه الله : (المخالفون لأهل الحديث هم مظنة فساد الأعمال: إما عن سوء عقيدة ونفاق، وإما عن مرض في القلب وضعف إيمان، ففيهم من ترك الواجبات واعتداء الحدود والاستخفاف بالحقوق وقسوة القلب ما هو ظاهر لكل أحد ، وعامة شيوخهم يرمون بالعظائم ، وإن كان فيهم من هو معروف بزهد وعبادة ، ففي زهد بعض العامة من أهل السنة وعبادته ما هو أرجح مما هو فيه!!) (٢١).

وفي المقابل يبين الإمام ابن القيّم (ت٧٥١هـ) قوة تأثير الانحرافات السلوكية على سلامة التوحيد والمعتقد في قوله: "التوحيد ألطف شيء وأنزهه وأنظفه وأصفاه، فأدنى شيء يخدشه ويدنّسه ويؤثّر فيه؛ كأبيض ثوب يكون يؤثّر فيه أدنى أثر، وكالمرآة الصافية جدًا أدنى شيء يؤثر فيها؛ ولهذا تشوشه اللحظة واللفظة والشهوة الخفية"(٢٢).

فأعظم مؤثر في ضبط السلوك الإنساني: توحيده لله، ويقينه باطلاعه عليه واستشعار مقتضيات أسمائه وصفاته، وبالإيمان بالبعث بعد الموت، وخوفه منه ومن عقابه، ورجائه ما عنده من الأجر والثواب؛ ولهذا تظهر الانحرافات السلوكية عند من انحرفت عقيدتهم في أصول الإيمان، كما هو حال أتباع بعض الفرق كالباطنية وغلاة المتصوفة وغيرهم، كما سيتبين من

(٢٠) الشريعة للآجري (ص١٢٢).

(٢١) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٣) .

(٢٢) الفوائد (ص١٩٤).

خلال هذا البحث من خلال الوقوف على انحرافات غلاة المتصوفة في جانب الإباحية الجنسية، وبيان الأصول العقدية التي أدت إلى هذا الانحراف.

المبحث الأول

القول بوحدة الوجود، وأثره على أخلاق الصوفية.

الاعتقاد بوحدة الوجود عقيدة قديمة جداً، مأخوذة من الديانة الهندوسية وقدماء اليونانيين، انتقلت على يد بعض غلاة الصوفية كابن عربي وابن الفارض والتلمساني.

حتى بات عموم غلاة المتصوفة يعتقدون بها، وتقوم على أن الله والوجود شيئ واحدٌ غير منقسم، وأن وجود هذا العالم هو عين وجود الله وهو حقيقة وجود هذا العالم، ويجمعون بين صفات الخالق والمخلوق، فكلٌّ ما اتصفت به المخلوقات من حسن وقبح؛ إنما المتصف بها عندهم: نفْس الخالق، وليس للخالق عندهم وجود مباين لوجود المخلوقات منفصل عنها فالله سبحانه يظهر ويتجلى في صور متعددة كما يزعمون.[٢٣] ومن أظهر لوازم عقيدة وحدة الوجود على غلاة المتصوفة:

١- عدم التمييز بين صفات الخالق وصفات المخلوق، مما دفعهم للقول:

٢- بأن كل كلام في الوجود هو كلام الله، وأن المتكلم حقيقة هو الله، وأن الوجود ليس هو غير الله، وأما العالم فهو مظهر من مظاهر الذات الإلهية، والعالم ليس له وجود في ذاته؛ لأنه صادر عن الله بالتجلي. (وليس للخالق عندهم وجود مباين لوجود المخلوقات منفصل عنها أصلاً؛ بل عندهم ما ثم غير أصلًا للخالق ولا سواه. ومن كلماتهم: ليس ثم الله)(٢٤).

وقد ظهر ذلك في العديد من مقالاتهم وأشعارهم من ذلك ما نَقل من كلام ابن عربي(ت ٦٣٨هـ) الذي يعتبر هو القائل الأول بوحدة الوجود في الإسلام، وله أبيات يقول فيها:

(٢٣) انظر: أصول التصوف، عبد الله زروق (ص٧٨)، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي (ص: ٣٤).

(٢٤) مجموع الفتاوى (٢/ ١٢٤)، وانظر: المعجم الفلسفى جميل صليبا (٢/٥٦٩)، والفكر الصوفي: عبد الرحمن عبد الخالق (ص١١٠).

ألا كل قول في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه
يعم به أسماع كل مكون ... فمنه إليه بدؤه وختامه (٢٥)
ويقول: "سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها"(٢٦).

٢- وقوعهم في الشرك الأكبر وعدم تفريقهم بين من عبدالله بالتوحيد، ومن عبد غيره من الأصنام والأوثان؛ وذلك أنهم -وبناء على اعتقادهم بوحدة الوجود وتجلي الخالق في مخلوقاته- يجعلون أن (عبّاد الأصنام لم يعبدوا غيره عندهم؛ لأنه ما عندهم له غير؛ ولهذا جعلوا قوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] بمعنى قدَّر ربك أن لا تعبدوا إلا إياه؛ إذاً ليس عندهم غير له تتصور عبادته فكل عابد صنم إنما عبد الله)، **ويغالطون في بعض ما جاء في كتاب الله تعالى ومن ذلك أن: (عباد العجل مصيبون وأن موسى أنكر على هارون إنكاره عليهم عبادة العجل**، وأن موسى عليه السلام علم ما عبده أصحاب العجل؛ لعلمه بأن الله قد قضى أن لا يعبدوا إلا إياه وما حكم الله بشيء إلاوقع؛ فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتباعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء)، بل ويجعلون فرعون من كبار العارفين المحققين وأنه كان مصيبا في دعواه الربوبية) (٢٧).

٣- على مذهبهم هذا لن يعذب الله الكافر، فمن باب أولى المسلم الفاسق، وهذا ما صرح به غلاتهم كابن عربي حيث يقول: (ولما كان الأمر في نفسه على ما قررناه؛ لذلك كان مآل الخلق إلى السعادة على اختلاف أنواعها، فعبر عن هذا المقام بأن الرحمة وسعت كل شيء، وأنها سبقت الغضب الإلهي، والسابق متقدم، فإذا لحقه هذا الذي حمل عليه المتقدم فنالته الرحمة، إذا لم يكن غيرها سبق، فهذا معنى سبقت رحمته غضبه.

(٢٥) الفتوحات المكية (٢/٦٠٤).
(٢٦) فصوص الحكم لابن عربي (ص ٢١٨).
(٢٧) مجموع الفتاوى (٢/ ١٢٤) بتصرف يسير .

٤- استباحة المحرمات والتشجيع على الإباحية الجنسيةاختلال الاعتقاد الصحيح في مسائل الجزاء والعقاب، فمن الذي يثيبنا حين نحسن؟ ومن الذي يعاقبنا حين نسيء؟ إذا كان الإنسان جزءاً من الله، ولذلك عاش بعض الصوفية عيشة التفكك والانحلال(٢٨).

ويحسن التنبيه هنا إلى أن الكلام في العشق الإلهي الذي سيأتي في المبحث التالي مرتبط بعقيدة وحدة الوجود؛ لذا فما يذكر من أحداث وأمثلة لما وقع فيه غلاة المتصوفة في الإباحية الجنسية يكون المثال وارداً على كلا الأصلين.

المبحث الثاني

القول بالعشق الإلهي، وأثره على أخلاق الصوفية.

العشق في اللغة: فرط الحب، وسمّي العاشق عَاشقًا لأنّه يذبل من شدَّة الهْوى. (٢٩)

والقول بالعشق الإلهي من الأصَول الاعتقاديةَ التي ظهرت عند غلاة الصوفية، وهو الإفراط في الحب، ويعرفونه: بأنه حالة من أحوال الحب الإلهي، تنتقل زيادة أو نقصانا في مراتب (مقامات) متدرجة، وهي مراتب شبيهة بأحوال العشق البشري مع الفارق في القداسة بطبيعة الحال.(٣٠). ويربطون بين القول بالعشق الإلهي مع القول بوحدة الوجود؛ فيعتقدون أنهم يرون الله في معشوقهم، فيقول ابن عربي: (ونهايته: أي الحب: من الطرفين أن يشاهد العبد كونه مظهراً للحق، وهو لذلك الحق الظاهر كالروح للجسم باطنه غيب فيه، لا يدرك أبدا، ولا يشهده إلا محب؛ وأن يكون الحق مظهرا للعبد، فيتصف بما يتصف به العبد من الحدود والمقادير والأعراض، ويشاهد هذا العبد، وحينئذ يكون محبوبا للحق، وإذا كان الأمر كما قلنا فلا حد للحب يعرف به ذاتي؛ ولكنه يحد بالحدود الرسمية واللفظية لا غير) (٣١).

(٢٨) انظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق (١/١٥٥).

(٢٩) انظر: لسان العرب (٤/٢٩٥٨)، تهذيب اللغة (١/ ١١٨)، الصحاح (٤/١٥٢٥).

(٣٠) انظر: الرسالة للقشيري (٢/٤٨٨)، احياء علوم الدين للغزالي (٢/٢٧٩).

(٣١) الفتوحات المكية (٢/١٠٩).

ويرتبط بالعشق عندهم القول بالفناء الذي هو امتداد لعقيدة وحدة الوجود، وقد صرح بذلك بعض غلاتهم فجاء في شرح عبدالكريم الجيلي (ت ٨٢٦هـ) للعشق بقوله: (إذا طفح الود حتى أفنى المحب والمحبوب سمي عشقاً، وفي هذا المقام يرى العاشق معشوقه فلا يعرفه ولا يصيح إليه، كما روي عن مجنون ليلى أنها مرت به ذات يوم فدعته إليها لتحدثه، فقال لها: دعيني فإني مشغولٌ بليلى عنك، وهذا آخر مقامات الوصول والقرب فيه ينكر العارف معروفه ، فلا يبقى عارف ولا معروف، ولا عاشق ولا معشوق ، ولا يبقى إلا العشق وحده، والعشق هو الذات المحض الصرف الذي لا يدخل تحت رسم ولا نعت ولا وصف ، فهو أغنى العشق في ابتداء ظهوره يفني العاشق حتى لا يبقى له اسم ولا رسم ولا نعت ولا وصف)(٣٢).

وقد اعترض علماء السلف على مفهوم العشق عند الصوفية بعدة اعتراضات منها:

أن كلمة العشق تختلف اختلافاً كبيراً عما تفيده كلمة المحبّة في التعبير عن عواطف الإنسان. فانّ المحبة بمعناها المتعارف هو إحساس عاطفيّ نبيل، لا يشوبه ميل شهويّ وابتذالٌ جسديّ.

وأمّا مفهوم العشق، فانه ينبئ عن نزعات آثمة وهواجس شهوية تثور في النفوس المتلهفة بالغرام والهيام، والمشتاقة إلى إشباع الرغبات الجنسية وما يتصل بها. وأن العشق في اللغة العربية لما ينكح، والصوفية وضعوا هذا اللفظ لما بينهم وبين الله سبحانه وتعالى، واعتبروه عشيقاً كالذي يكون بين الرجل والمرأة. قال الإمام ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) : (فإن العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح ... وإن صفات الله عز وجل منقولة فهو يحب ولا يقال يعشق) (٣٣).

وأنه لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة لفظة العشق وأحب العباد إلى الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم فعبر سبحانه وتعالى عن محبته له ولأصحابه بقوله سبحانه: (﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

(٣٢) الإنسان الكامل (ص١٢٢).

(٣٣) تلبيس ابليس (ص١٥٣).

ومن أبرز الآثار المترتبة على قول المتصوفة بالعشق الإلهي:

يعتبر القول بالعشق عند المتصوفة طريقًا وسلماً لنشر عقيدة وحدة الوجود، فبه قالوا بالتسوية بين صفات الخالق والمخلوق، وأن الله يحل في مخلوقاته ويتجلى في الجميل منها؛ وهو ما دعاهم للتغزل بالصور الجميلة، واتخاذهم من الغزل بكل جميل، سواء ذكر أو أنثى سلّما له. ويدعون أن في عشقها، إنما هو في الحقيقة قد عشق الله لكونها مجلى من مجالي الله فيرددون (ماثم جميل إلا هو) (٣٤).

وبما أن الله تعالى يتمثل في الصورة الجميلة بما في ذلك تجليه في المرأة؛ مما حدى ببعضهم الوقوع في الإباحية الجنسية، فهم يستبيحون النظر إلى المعشوق ولو كانت امرأة، بل يجعلونه نوعا من أنواع العبادات؛ لأنهم يعتبرون الناظر إنما ينظر إلى الرب عز وجل، يقول الدباغ (ت ١٩٨٩م): (النظر إلى الجمال عبادة إذا قصد بالتعلق به الوصول إلى خالقه إذ لا يستدلّ على علم الصانع وقدرته إلا بإتقان صنعته وإحكامها. . وكيف لا يكون النظر إلى الجمال بهذا الاعتبار عبادة والناظر إليه مطالع لفاطره وواهبه، ومستدلّ به على جماله الذي لا ينبغي إلا له، إذ لا يعطي الجمال إلا من هو أجمل منه، ولا نسبة بين الجمالين كما لا نسبة بين المجاز والحقيقة والفعل والفاعل، بل لا يسمى الجمال المبدع جمالاً إلا من حيث النظر إلى موجده ، وأما بالنظر إلى ذاته فهو مجاز محض. والنظر إلى الواهب هو المقصود، وهذا موصل إليه ودالّ عليه(٣٥).

ويرى ابن الفارض بأن الله تجلى لقيس بصورة ليلى. وتجلى لكثير بصورة عزة، وتجلى لجميل في صورة بثينة في قصيدته التائية المعروفة فهو يعترف أن هذا من تجليات الحق.

وتظهر للعشاق في كل مظهر ... من اللبس في أشكال حسن بديعة

ففي النشأة الأولى تراءت (٣٦) لآدم ففي مرة لبنى وأخرى بثينة

---

(٣٤) انظر: الفتوحات المكية لابن عربي(٤/٣٦٩).

(٣٥) مشارق أنوار القلوب لابن الدباغ (ص١٢٠)

(٣٦) مقصوده: ترآت الذات الإلهية.

بمظهر حواء قبل حكم الأمومة وآوانـة تدعـى بعـزة عـــزت
وتظهر للعشاق في كل مظهر ولَلبس سواهـا،لا ولا كُنّ غيرها
من اللبس في أشكال بديعـة وما إن لها في حسنها من شريكة.(٣٧)

وقد كان لابن الفارض (ت٦٢٣هـ) مغنيات بالقرب من قرية (البهنسا) بمصر يذهب إليهن فيغنين له بالدف والشابة وهو يرقص ويتواجد(٣٨).

وأما ابن عربي فقد تجاوز القبح في الوصف حيث جعل مضاجعة الرجل للمرأة بمثابة مضاجعة الحق . تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً . فيقول: (فإذا شاهد الرجل الحق في المرأة، كان شهوده في منفعل فإذا شاهده في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه، شاهده في فاعل، كان شهوده عن منفعل عن الحق بلا واسطة، فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل؛ لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل و منفعل)(٣٩).

ويقول نجم الدين الكبرى (ت٦١٨هـ): (وقد يفنى العاشق في العشق، فيكون العاشق هو العشق، ثم يفنى العشق في المعشوق)(٤٠). ثم يحكي عن نفسه وما حدث له من جراء العشق فيقول: (عشقت جارية بقرية على ساحل نيل مصر ، فبقيت أياماً لا آكل ولا أشرب إلا ما شاء الله، حتى كثرت نار العشق فكنت أتنفّس نيراناً ، فتتلقى الناران ما بيني وبين السماء ، فما كنت أدري من ثمة أين تلتحقان. فعلمت أن ذلك شاهدي في السماء)(٤١).

وحب الشهوات والملذات المحرمة استعبد الصوفية، وذهب بهم إلى البحث في الأدلة عن ما يستدلون به في ضلالهم إما من خلال أدلة مكذوبة، أو بأدلة ثابتة يستدلون بها في غير مرادها، من ذلك استدلالهم بالحديث الموضوع أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: "**النظر**

---

(٣٧) ديوان ابن الفارض.

(٣٨) جلاء العينين (ص٩٦).

(٣٩) فصوص الحكم بشرح عبدالرزاق القاشاني (ص٣٢٨،٣٢٧).

(٤٠) فوائح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين الكبرى (ص١٨٢).

(٤١) المصدر والصفحة نفسهما.

إلى الوجه الحسن عبادة"(٤٢)، وتأولهم للحديث المروي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"إن الله جميل يحب الجمال"**(٤٣) بتأويلات فاسدة فيصورون: الحقَّ -تعالى- أنه الجمال الأزلي المطلق المعشوق على الحقيقة في كلِ جميل، وأنَّ جميع صور الجمال هي مجليَّات للحقِ -تعالى-؛ لذا فإنَّ عبادة الجمال الظاهري والافتتان بالصورة والهيام بالجمال المادّي إنما هي طريق الوصول إلى الجمال المطلق ، فيقولون: إنَّ جمال الظاهر ماهو إلا مرآة لطلعةَ الغيب ومظهر للجمال الإلهي وكانوا يعيشون كلَّ مظاهر الجمال، ومن جملتها الوجه الجميل سواء كان ذكرا أو أنثى، ويعتبرون ذلك شاهدًا على صنع الله.(٤٤)

يقول ابن عربي بعد إيراده للحديث المتقدم: **"إن الله جميل يحب الجمال"**:(هو تعالى صانع العالم وأوجده على صورته فالعالم كله في غاية الجمال ما فيه شيء من القبح بل قد جمع الله له الحسن كله والجمال .. ولهذا قلنا في بعض عباراتنا إنه مرآة الحق، فما رأى العارفون إلا صورة الحق .. فهو المتجلي في كل معبود.. فجميع العالم له مصل، وإليه ساجد، وبحمده مسبح، فالألسنة ناطقة، والقلوب به هائمة عاشقة .. ولو أن هذا كما ذكرناه ما أحب نبي ولا رسول أهلاً ولا ولداً)(٤٥).

فأين هم عن آيات القرآن الكريم والسنة النبوية التي تأمر بغض البصر والبعد عن الطرق المؤدية إلى الزنا كقول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا

(٤٢) موضوع، أورده ابن الدباغ في مشارق الأنوارص١١٦، قال العلجوني: (نقل ابن القيم عن شيخه ابن تيمية أنه سئل عنه فأجاب: بأنه كذب باطل عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، لم يروه أحد بإسناد صحيح، هو من الموضوعات) كشف الخفاء(٢/٣١٧)، وانظر: روضة المحبين(ص١٢٣).

(٤٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، برقم (٢٦٥).

(٤٤) انظر: وحدة الأديان في عقائد الصوفية، د.سعيد معلوي (١/٣٤٣) .

(٤٥) الفتوحات المكية (٣/٤٣٥).

فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠]، وغيرها من الآيات والأحاديث النبوية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ذم العشق: (والعشق مذموم مطلقا لا يمدح لا في محبة الخالق ولا المخلوق؛ لأنه المحبة المفرطة الزائدة على الحد المحمود، وأيضا فإن لفظ العشق إنما يستعمل في العرف في محبة الإنسان لامرأة أو صبي، ولا يستعمل في محبة كمحبة الأهل والمال والوطن والجاه ومحبة الأنبياء والصالحين، وهو مقرون كثيرا بالفعل المحرم إما بمحبة امرأة أجنبية أو صبي، يقترن به النظر المحرم، واللمس المحرم، وغير ذلك من الأفعال المحرمة) (٤٦).

فليس حب الصوفية للجمال وتقديسهم لها، وقولهم بالعشق الإلهي إلا من أجل تلبية الرغبات وإشبع الشهوات، ودعوة منهم للمجون والخلاعة وانتشار الرذائل بين الأفراد والمجتمعات، وإشاعة الفواحش، تحت دعاوى مضللة وشبهات منحرفة، بغطاء الشريعة الإسلامية.

المبحث الثالث

الاحتجاج بالقدر، وأثره على أخلاق الصوفية.

جوز الصوفية فعل كل شيء مقدور عليه، بما في ذلك فعل المعاصي والقبائح، بحجة أن الله خلقها وقدرها؛ وأن كل ما قدره الله فقد أحبه، وأنه كيف لله أن يخلق ما لا يرضى، فلا يوجد مكروه لله في هذا الكون.(٤٧)، وذلك لعدم تفريقهم بين الإرادتين الكونية والشرعية، فيزعمون أن كل ما يصدر من المكلف من أعمال الخير أو الشر أو الظلم أو العدل أو الكفر أو الفسوق أو العبادات فهي طاعة وعبودية محضة لله-تعالى-؛ لأنها إنما تجري وفق ما قضاه الله وقدره،وكل ما قضاه الله وقدره فهو محبوب لديه، مرضي عنه، فإذا كان قد خالف أمر الشارع بارتكابه هذه المحظورات فقد أطاع الله ونفذ مشيئته، فمن أطاع الله في قضائه وقدره هو كمن أطاعه في أمره ونهيه كلاهما قد قام بحق العبودية لله) (٤٨).

---

(٤٦) مجموع الفتاوى(١٠/١٣١).

(٤٧) انظر: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، (٣/ ٩١٧. ٩٥٨).

(٤٨) انظر: شرح النونية للهراس (ص٣٧٢). وبحث إسقاط التكاليف، للدكتور. محمد البريدي. موقع تربيتنا.

ومن آراء المتصوفة في هذا الباب: أن العارف لا ينكر منكراً لاستبصاره بسر الله في القدر [٤٩]، وأن المريد لا بد وأن تسلب منه الإرادة ويتجرد منها؛ (فمن لم يتجرد عن إرادته لا يكون مريدًا) [٥٠]. وقد عوتب أحدهم على ارتكابه معاصى الله فقال: (إن كنت عاصياً لأمره، فأنا مطيع لإرادته)[٥١] .

وأنشد عبدالكريم الجيلي:

وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى		ومالي عن حكم الحبيب تنازع
فطورا تراني في المساجد راكعا		وأني طورا في الكنائس راتعاً
إذا كنت في حكم الشريعة عاصيا		فإني في علم الحقيقة طائع [٥٢]

ومما يستشهدون به ما وقع بين هارون وموسى عليهما السلام في استنكار موسى، ويتأولون الآية تأويلاً فاسدًا يتناسب مع معتقدهم حين جعلوا الوقوع في الشرك، وعبادة قومه للعجل من القدر، يقول ابن عربي: "ثم قال هارون لموسى عليه السلام: (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل) فتجعلني سبباً في تفريقهم، فإن عبادة العجل فرقت بينهم، فكان منهم من عبده اتباعاً للسامري وتقليداً له، ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع إليهم موسى فيسألونه عن ذلك، فخشي هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه، فكان موسى أعلم بالأمر من هارون، لأنه علم ما عبده أصحاب العجل، لعلمه أن الله قضى ألا يعبد إلا إياه.. وما حكم الله بشيء إلا وقع.. فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء"[٥٣].

(٤٩) نقلاً عن شرح النونية للهراس (٣٧٢/١).

(٥٠) أنظر: الرسالة القشيرية (٣٥١/٢).

(٥١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٨٥).

(٥٢) ايقاظ الهمم لابن عجيبة (١٢٩/١).

(٥٣) الفصوص ص١٩٢.

بهذا يتبين أن فأقوالهم في القدر موافقة لمذهب الجبرية الخلص.[٥٤] القائلين كل ما يقع فهو من إرادة الله وليس للإنسان أي إختيار أو تصرف، بما في ذلك وقوع الشرور والمعاصي منه فيعتبرونها طاعة لإرادة الله. محتجين بحجج منها قول الله تعالى : (الله خالق كل شيء) وأفعال العباد داخلة فيها فهو خالقها، ومما لا شك فيه أن القول بالجبر يؤدي إلى تعطيل التكاليف الشرعية، وبطلان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الإجبار يتنافى مع التكليف، وأنه من المحال أن يكلف بشيء ويؤمر بضده.

وقد ثبت وقوع بعضهم في المحرمات وفي استباحة الفروج محتجين بالقدر، وقد نقل الإمام ابن القيم أحوال بعض القائلين بالجبر وكيف أدى بهم ذلك المعتقد إلى اقتراف القبائح والمعاصي فيحكي عن رجل: (صعد يوماً على سطح دار له، فأشرف على غلام له يفجر بجاريته فنزل وأخذهما ليعاقبهما، فقال الغلام: إن القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك. فقال: لعلمك بالقضاء والقدر أحب إلى من كل شيء، أنت حر لوجه الله)[٥٥].

(ورأى آخر رجلاً آخر يفجر بامرأته فقال: ما هذا؟ فقالت: هذا قضاء الله وقدره. فقال: الخيرة فيما قضى الله، فلقب بالخيرة فيما قضى الله، وكان إذا دعى به غضب)[٥٦] .

وبلغ بعض هؤلا والعياذ بالله إلى الجرأة على الله وعلى كتاب الله: (قيل لبعض هؤلاء: أليس [الله عز وجل] يقول: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر:٦٢]، فقال: دعنا من هذا، رضيه وأحبه وأراده، وما أفسدنا غيره)[٥٧].

---

(٥٤) الجبرية: سموا بذلك نسبة إلى الجبر، فهم لا يثبتون للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، بل يضيفون الفعل إلى الله تعالى، والعبد عندهم لا فعل له فهو كالريشة في مهب الريح، وحركاته كحركات المرتعش ليس له إرادة ولا قدرة على الفعل.وهم أصناف: الجبرية الخالصة وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً. والجبرية المتوسطة وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين(ص٦٨)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٥ - ٩١).

(٥٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٨٤).

(٥٦) المصدر والصفحة نفسهما.

(٥٧) المصدر السابق (ص٨٥).

وقد تناول علماء أهل السنة الرد على أقوال الجبرية وكشفوا عوارهم، وليس المقام هنا التوسع في النقل ونكتفي بما جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن من احتج بالقدر، وشهود الربوبية العامة لجميع المخلوقات، ولم يفرق بين المأمور، والمحظور، والمؤمنين، والكفار، وأهل الطاعة، وأهل المعصية لم يؤمن بأحد من الرسل، ولا بشيء من الكتب، وكان عنده إبليس وآدم سواء، ونوح وقومه سواء، وفرعون وموسى سواء، والسابقون الأولون وكفار مكة سواء)(٥٨).

وقول الإمام ابن القيم بعد أن نقل بعضا من أقوالهم وأفعالهم القبيحة التي احتجوا فيها بالقدر وتجرأوا على ربهم: (الله أكبر على هؤلاء الملاحدة أعداء الله حقاً الذين ما قدروا الله حق قدره، ولا عرفوه حق معرفته، ولا عظموه حق تعظيمه، ولا نزهوه عما لا يليق به، وبغضوه إلى عباده وبغضوهم إليه سبحانه، وأساؤوا الثناء عليه جهدهم وطاقتهم، وهؤلاء خصماء الله حقاً الذين جاء فيهم الحديث: "يُقَالُ يومَ الْقِيامَة: أَيْنَ خُصَمَاءُ اللهِ؟ فَيُؤمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ")(٥٩).

المبحث الرابع

القول بالإرجاء في الإيمان، وأثره على أخلاق الصوفية.

الإرجاء في اللغة له عدة معاني: منها: التأخير والإمهال(٦٠)، وفي الإصطلاح: إخراج العمل عن مسمى الإيمان، وجماع قول طوائف المرجئة في تعريف الإيمان: بأنه قول بلا عمل.(٦١)

وأجمعت المرجئة على أن الإيمان شيئ واحد، لا يتبعض، وهو لا يزيد ولا ينقص، وأنه لا يجتمع في قلب واحد إيمان ونفاق، ولا يكون في أعمال العبد الواحد شعبة من الشرك وشعبة من الإيمان، وقالوا: من المحال أن يكون إنسان واحد محموداً مذموماً محسناً مسيئاً عدواً لله

(٥٨) مجموع الفتاوى (٨/١٠٠).

(٥٩) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص ٨٦).

(٦٠) معجم مقاييس اللغة (٢/٤٩٤).

(٦١) انظر: تهذيب الآثار للطبري (٢/٦٥٨).

ولياً له، لهذا قالت بإخراج الأعمال من مسمي الإيمان، واخرجت العمل عن النية والعقد، وأن الإيمان لا تضر معه معصية.

ومذهب المرجئة في الإيمان تفشى بين عدد من الطوائف وبخاصة الفرق الكلامية كالماتريدية والأشعرية، وكذلك الصوفية فهي مندمجة مع هذين المذهبين في بعض معتقداتها بما فيه مسائل الأسماء والأحكام ومفهوم الإيمان وما يتفرع عنه من مسائل، فعرفوا الإيمان بالتصديق يقول الجنيد (ت٢٩٧هـ) وهو من أئمة الصوفية: (الإيمان هو التصديق والإيقان، وحقيقة العلم بما غاب عن الأعيان)[٦٢]، ولما سئل عن الإيمان؟ أجاب بقوله: (هذا سؤال لا حقيقة له، ولا معنى ينبئ عن مزيد من علم، إنّما هو الإيمان بالله جل ثناؤه مجرداً، وحقيقته في القلوب مفرداً، وإنّما هو ما وقر في القلب من العلم بالله، والتصديق بما أخبر من أموره في سائر سمواته وأرضه؛ ممّا ثبت في الإيقان، وإن لم أره بالعيان)[٦٣]

فالمتصوفة ومن سلك مسلك الإرجاء جعلوا الإيمان في مقابل التكذيب استنادا للمعنى اللغوي مستدلين بقول الله تعالى: }﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف:١٧]؛ أي: بمصدّق. [٦٤]

ومنشأ انحراف الصوفية وغيرهم في تعريف الإيمان اعتقادهم أنه شيئ واحدٌ لا يتجزأ وبناءا عليه؛ فإنه لا يزيد ولا ينقص، يقول الحلاج (ت ٣٠٩هـ): (الإيمان من الله لا يزيد ولا ينقص، ومن الأنبياء يزيد ولا ينقص، ومن غيرهم يزيد وينقص، ومن فرق بين الكفر والإيمان؛ فقد كفر)[٦٥].

لذا فإنهم يرون أن من وهبه الله إيمانَا فإنه لا ينزل إلى ما دونه؛ لأنه اختصاص من الرب فيقولون: (إن المؤمن الحقيقي لا ينتقل عن الإيمان؛ لأنّه موهبة له من الله جل وعز، وعطاء،

(٦٢) حلية الأولياء (١٠/٢٩٥).

(٦٣) المصدر نفسه (١٠/٢٦٥)، وانظر: الإمام الجنيد سيد الطائفتين (ص٢٦٠).

(٦٤) انظر: إحياء علوم الدين (٢/٢٠٣).

(٦٥) الأعمال الكاملة للحلاج (ص٢٤٣).

وفضل، واختصاص، وحاشا الحق -عز وجل- أن يرجع فيما وهب، أو يسترد ما أعطى. وصورة الإيمان الحقيقي والرسمي(٦٦) في الظاهر صورة واحدة، وحقائقها مختلفة)(٦٧).

ومذهب المرجئة من أشد المذاهب تأثيرا في إضعاف منزلة الأمر والنهي الشرعيين، والانسلاخ من الدين، وفي انتشار الفساد وفشو المعاصي والانحلال الأخلاقي؛ لذا ورد ذمه والتحذير منه، حتى عده السلف من أشد البدع ضرراً، يقول الزهري: (ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من الإرجاء). (٦٨) وقال الأوزاعي(ت ١٥٧هـ): (كان يحيي بن أبي كثير وقتادة يقولان: ليس شيء من الأهواء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء) (٦٩) .

وقال ابن بطة (ت٣٨٧هـ): (والمرجئة تزعم أن الصلاة والزكاة ليستا من الإيمان، فقد أكذبهم الله عز وجل، وأبان خلافهم، واعلموا رحمكم الله أن الله عز وجل لم يثن على المؤمنين، ولم يصف ما أعد لهم من النعيم المقيم، والنجاة من العذاب الأليم، ولم يخبرهم برضاه عنهم إلا بالعمل الصالح، والسعي الرابح، وقرن القول بالعمل، والنية بالإخلاص، حتى يصار الإيمان قولاً باللسان، وعملاً بالجوارح، ومعرفةً بالقلب، خلافًا لقول المرجئة الضالة الذين زاغت قلوبهم، وتلاعبت الشياطين بعقولهم، وذكر الله عز وجل ذلك كله في كتابه، والرسول صلى الله عليه وسلّم في سنته) (٧٠) .

خلاصة القول أن الإرجاء على الرغم من تأثيره على جميع من تمسك به ولا بد ومن بينهم المتصوفة إلا أنه من خلال البحث وبحسب ما اطلعت عليه لم أقف على أحداث ووقائع

(٦٦) الرسمي: من الرسم، أي الشكل الظاهري.

(٦٧) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص١٤٨).

(٦٨) مقالات الإسلاميين (١/٢٢١) .

(٦٩) السنة للخلال (٨٦/٤)

(٧٠) الإبانة الكبرى (٧٧٨/٢) .

تبين بوضوح على أثر الفكر الإرجائي عليهم، أو احتجاجهم بالقول بأن الإيمان هو التصديق أو المعرفة في وقوع بعض غلاتهم في الانحرافات الأخلاقية والإباحية الجنسية.

المبحث الخامس

تقديس الأولياء، وأثره على أخلاق الصوفية.

الولاية: من الولي بمعنى القرب، فهي القرابة الحكمية الحاصلة من العتق، أو من الموالاة. [٧١]

وقد ورد ذكرها في الكتاب والسنة، كما في قول الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [يونس:٦٢]، يقول القرطبي (ت٦٧١هـ): (أي من تولاه الله تعالى وتولى حفظه وحياطته ورضى الله عنه، فلا يخاف يوم القيامة ولا يحزن)[٧٢].

وقوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة:٢٥٧]. يقول ابن تيمية: (والولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد، وقد قيل : إن الولي سمي وليًّا من موالاته الطاعات، أي متابعته لها، والأول أصح، والولي القريب فيقال : هذا يلي هذا أي يقرب منه)[٧٣] .

وأما مفهوم الولاية عند المتصوفة: فهي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلّغه غاية مقام القرب والتمكن.[٧٤]

والولِي عندهم: هو من يسلب من جميع الصفات البشرية ويتحلى بالأخلاق الإلهية ظاهرا وباطنا.

ويرى المتصوفة أنها تكون باختيار الله وجذبه، وليست من كسب العبد، والتي تحصل بكسب العبد إنما هي ولاية العامة، وأما المعنية والمرادة هي ولاية الخاصة التي تحصل بجذب الله

(٧١) التعريفات للجرجاني (ص٢٥٤).

(٧٢) تفسير القرطبي(٨/٣١٩).

(٧٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٩).

(٧٤) معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (ص٧٩) .

واختصاصه، لقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة:١٠٥]، فيقولون: الولاية اختصاص.[٧٥]

ويعتقد غلاة الصوفية في أوليائهم أنهم يدبرون أمر العالم، ويتصرفون في الكون بما يشاؤون، وأنهم وسطاء عند الله يستشفع بهم، وأنهم على مراتب ودرجات أعلاهم القطب الذي يدبر شؤون الكون، هذا ما يصرح به أئمتهم، من ذلك قول التجاني (ت١٢٣٠هـ): (إن الله ملكهم الخلافة العظمى، واستخلفهم على مملكته تفويضا عاما، أن يفعلوا في المملكة كل ما يريدون، ويملكهم الله كلمة التكوين: متى قالوا للشيء: كن، كان من حينه .. فلا يستعصي عليهم شيء في الوجود.)[٧٦].

وهم أيضا يرون عدم الإنكار على من بلغ هذه المرتبة من الولاية، محتجين بحجج منها التحذير الوارد في حديث النبي صلى الله عليه وسلّم: فيما يرويه عن ربه عز وجل: "**من عادى لي وليافقد آذنته بالحرب..**"[٧٧]، فمن حارب وليا من أوليائه فقد بارز الله بالحرب؛ لذلك فإن عوامهم صاروا يتعاملون مع الأئمة والأولياء المزعومين بقداسة، ويعتقدون فيهم المقدرة على قضاء الحاجات وتنفيس الكربات؛ ومن كان بهذه المنزلة فمن المستبشع الإنكار عليه، يقول إدريس محمود: (إن الصوفية يعتقدون بأن المريد الصوفي الذي يريد أن يصل إلى الولاية الصوفية الشيطانية لا يجوز له أن يعترض على شيخة نهائياً حتى ولو رآه يفعل شيئاً منكرا واضحا وكل الوضوح؛ لأن هذا يكون سببا لطرده عن رعاية الشيخ ويكون فرصة للهلاك الدنيوي والديني كما يزعمون)[٧٨].

وقد استغل بعض المنسوبين للولاية الخاصة في الحصول على ملذاتهم وشهواتهم المحرمة، فنقلت عنهم بعض المرويات التي تصف كيف يقعون في التحرش واستباحة المحرمات من ذلك أن:

---

(٧٥) أنظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (٢٢١-٢٢٨).

(٧٦) جواهر المعاني (٢/٧٦) .

(٧٧) أخرجه البخاري كتاب الرقاق، باب التواضع (ص:١١٢٧) (ح: ٦٥٠٢).

(٧٨) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (٣/١١٠١).

(الشيخ علي أبو خوذه يحب الغلمان ويعبث بهم بحضرة آبائهم بالغاً ما بلغت مكانتهم وكان كلما رأى إمرأة حسس بيده على مقعدها)[٧٩].

وأن: (المجذوب محمد بن أبي بكر المغربي الطرابلسي (ت١٢١٠) صاحب الأحوال يحب مجالس الشراب وتتهافت عليه نساء البلد فأنكر عليه ذلك بعض الناس ولكن أهل الفضل كانوا يحترمونه)[٨٠]. وغير ذلك مما نبرأ إلى الله أن يصدر ممن يؤمن بالله واليوم الآخر ويرجو ما عند الله من الثواب والنعيم المقيم.

وما ورد من عقائد المتصوفة في وصف أوليائهم ببعض صفات الربوبية باطل وشرك بالله وصد عن سبيله، ترده نصوص الكتاب والسنة الصريحة، وبين ضلالهم علماء أهل السنة والجماعة في مصنفاتهم من ذلك على سبيل المثال: ما جاء في الرد على اعتقادهم أن الأوامر والنواهي إنما جاءت لضبط العوام قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما قولهم المراد منها ضبط العوام ولسنا نحن من العوام، فالكلمة الأولى زندقة ونفاق.

والثانية: كذب واختلاق، فإنه ليس المراد من الشرائع مجرد ضبط العوام، بل المراد منها العلاج باطنَا وظاهرا، للخاصة والعامة في المعاش والمعاد)[٨١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأما سؤال السائل عن القطب الغوث الفرد الجامع: فهذا قد يقوله طوائف من الناس، ويفسرونه بأمور باطله في دين الإسلام، مثل تفسير بعضهم أن الغوث: هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته، في نصرهم ورزقهم، حتى يقول: إن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته!! وهذا كفر صريح، يستتاب منه صاحبه، فإن تاب، وإلا قتل، فإنه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون إمداد الخلائق بواسطته)[٨٢].

---

(٧٩) الطبقات الكبرى للشعراني (١٥٣/٢).

(٨٠) تاريخ الجبرتي (٣٧/٢)، عن التصوف وأثره(١٠٩٨/٣) .

(٨١) مجموع الفتاوى (٤١٥/١١).

(٨٢) مجموع الفتاوى (٩٦/٢٧) .

المبحث السادس

القول بإسقاط التكاليف، وأثره على أخلاق الصوفية.

والمراد بإسقاط التكاليف الشرعية: عدم الالتزام بالأحكام التكليفية الدينية والمتمثلة في أحكام العبودية من الواجبات والمندوبات والمحرمات والمكروهات والمباحات تحت أي دعوى. (٨٣)

وأما في مذهب الصوفية: فإنهم يعنون أن التكاليف الشرعية ترفع عن الواصلين من الأولياء أصحاب مرتبة (الخاصة) وذلك أن للواصلين عندهم درجة فوق العمل بالتكاليف وبفروع الشريعة؛ لأن الالتزام بها بعد المعرفة والوصول يعد انحطاطاً من الأعلى إلى الأدنى، وقد حكى الإمام أبو الحسن الأشعري عنهم القول بإسقاط التكاليف بقوله: (وفي النساك قوم يزعمون أن العبادة تبلغ بهم إلى درجة تزول فيها عنهم العبادات، وتكون الأشياء المحظورات على غيرهم من الزنا وغيره مباحات لهم)(٨٤).

وهناك ارتباط عند المتصوفة بين الكشف وإسقاط التكاليف وذلك أن السالك عندهم إذا بلغ مرتبة كشف الحجب سقطت عنه التكاليف مستشهدين: (إذا وصلت إلى مقام اليقين سقطت عنك العبادة , مؤولين قول الله عز وجل: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩])(٨٥).

ومن الأسباب والعقائد التي جعلت المتصوفة يقولون برفع التكاليف عدم تفريقهم بين الإرادتين الشرعية والكونية، واعتقادهم بالكشف وهو كما يعرفونه ارتفاع الحجب

(٨٣) إسقاط التكاليف د. محمد البريدي. موقع تربيتنا.

(٨٤) مقالات الإسلاميين للأشعري (ص: ٢٨٩)، وانظر: فرق معاصرة لغالب عواجي (١٠٢٨/٣).

(٨٥) اتحاف السادة للزبيدي (٨ /٢٧٨). وللمتصوفة حجج أخرى منها استدلالهم بقول الله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾[الأعراف: ١٧٥]، ويتأولونها بوضع التكاليف الشاقة من صلاة وصيام وغيرها من شرائع الإسلام عنهم. انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (٢/ ٥٠٨)

للاطلاع على ما ورائها من المعاني الغيبية وحقائق الأمور(٨٦)، يقول ابن عربي: (إنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول، وذلك أنهم اعتقدوا (عقيدة المتفلسفة)، ثم أخرجوها في قالب (المكاشفة))(٨٧).

وبحسب المراتب والطبقات التي يصل إليها السالك ببلوغ درجات من الكشف والاتصال والفناء، يكون قد بلغ في علاقته مع الله عز وجل حالة لا يكلفه بأمر ولا نهي، وعندها ترتفع عنه التكاليف؛ ويعللونه أيضاً كما يذكر القشيري: (أن الله يفتح للعارف وهو على فراشه ما لا يفتح لغيره وهو قائم يصلي) (٨٨)، فتصير العبادة للولي لا لزوم لها بالنسبة إليه، لأنه وصل إلى مقام لا يحتاج معه إلى القيام بذلك، ولأنه لو اشتغل بوظائف الشرع وظواهره انقطع عن حفظ الباطن وتشوش عليه بالالتفات عن أنواع الواردات الباطنية إلى مراعاة الظاهر(٨٩).

وفي أبيات لابن عربي يجعل العبد الواصل من يتصف بصفات الربوبية وينفي عنه التكليف:

الرب حق والعبد حق يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف(٩٠)

وهناك عوامل وتعليلات أخرى لقول الصوفية بإسقاط التكاليف واستباحة المحرمات؛ (لأنها بمجرد ما يضعونها في أفواههم تنقلب حلالاً... لذا لا يجوز الإنكار على الأولياء مهما ارتكبوا من جرائم فظيعة كالزنا واللواط وترك الصلاة) (٩١).

---

(٨٦) التعريفات (ص١٨٤)، واحياء علوم الدين (١/ ٢٠).

(٨٧) فصوص الحكم (ص٤٤٧).

(٨٨) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٨١).

(٨٩) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (٣/ ١٠٢٩) .

(٩٠) الفتوحات المكية (١/ ٢).

(٩١) مظاهر الانحرافات العقدية (٣/ ١١٠٢).

يقول توفيق الطويل: (أما الأولياء فقد كانو في عرف الجمهور فوق الدين وفوق العرف، وما أكثر حوادث الفقراء مع النساء والغلمان وسائر مظاهر تمردهم على الدين والعرف، وقد كان الناس يقابلون هذا الاستهتار بالرضا والاغتباط؛ لأن الأولياء في عرف الكثيرين منهم قد سقطت عنهم التكاليف الدينية، فجاز لهم ما حرم على غيرهم)(٩٢) .

والمتتبع لتراجم الصوفية كتذكرة الأولياء للعطار(ت١٢٢١هـ) وطبقات الشعراني(ت٩٧٣هـ) وغيرها من مصنفاتهم يجد العديد من المرويات والأحوال التي تبين احتجاج بعض الصوفية بإسقاط التكاليف عنهم عند ارتكاب محظور أو ترك واجب، وتظهر مدى استهتار هؤلاء الأولياء بالأخلاق والدين والتكاليف الشرعية، فعلى سبيل المثال ما يذكره الشعراني من أنه: (قد اشتهر فقراء الأحمدية والبرهامية بارتكاب الفواحش مع النساء اللاتي يأخذون العهد عليهن)(٩٣).

وقد ناقش العلماء ما ورد عن المتصوفة وغيرهم قولهم بإسقاط التكاليف من ذلك:

قول الإمام الشاطبي (ت٥٩٠هـ): (إن كثيرًا يتوهمون أن الصوفية أبيح لهم أشياء لم تبح لغيرهم؛ لأنهم ترقوا عن رتبة العوام المنهمكين في الشهوات إلى رتبة الملائكة الذين سلبوا الاتصاف بطلبها والميل إليها فاستجازوا لمن ارتسم فى طريقتهم إباحة بعض الممنوعات في الشرع بناء على اختصاصهم عن الجمهور فقد ذكر نحو هذا في سماع الغناء وإن قلنا بالنهي عنه كما أن من الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام من استباح شرب الخمر بناء على قصد التداوي بها واستجلاب النشاط في الطاعة لا على قصد التلهي وهذا باب فتحته الزنادقة بقولهم: إن التكليف خاص بالعوام ساقط عن الخواص)(٩٤).

---

(٩٢) التصوف في مصر (ص١١٦).

(٩٣) لواقح الأنوار القدسية للشعراني (ص٤١٢)، وانظر: التصوف في مصر ابان العصر العثماني (ص١١٣).

(٩٤) الموافقات (٢/ ٢٤٨) .

وقال الهيتمي (ت٩٧٤هـ) في وصفه للقائلين بإسقاط التكاليف من المتصوفة مبينا أن: (كثيراً من أولئك إباحيَّة لا يُحرمون حراما؛ لتلبيس الشيطان عليهم أحوالَهم القبيحة الشنيعة، فهم باسم الفسق أو الكفر أحق منهم باسم التصوف أو الفقر)(٩٥).

وسئل ابن تيمية رحمه الله عمن يقول: (إن غاية التحقيق وكمال الطريق، ترك التكليف بحيث أنه إذا ألزم بالصلاة يقوم ويقول: خرجنا من الحضرة، ووقفنا بالباب) فأجاب رحمه الله، بقوله:(أما من جعل كمال التحقيق الخروج من التكليف فهذا مذهب الملاحدة من القرامطة والباطنية، ومن شابههم من الملاحدة المنتسبين إلى علم أو زهد، أو تصوف أو تزهد. يقول أحدهم، (إن العبد يعمل حتى تحصل له المعرفة، فإذا حصلت زال عنه التكليف، ومن قال هذا؛ فإنه كافر مرتد باتفاق أئمة الإسلام، فإنهم متفقون على أن الأمر والنهي جاء على كل بالغ عاقل، إلى أن يموت. قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩]، واليقين هنا ما بعد الموت...)(٩٦).

ولم يقتصر استنكار القول بسقوط التكاليف الشرعية على علماء أهل السنة والجماعة، فلقد استنكره بعض علماء الصوفية كالقشيري (ت٤٦٥هـ) حيث يقول في وصف القائلين بإسقاط التكاليف عنهم: (وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة.. واستخفوا بأدائهم العبادات... وركضوا في ميدان الغفلات، وركنوا إلى اتباع الشهوات.. وادعوا أنهم تحرروا من رق الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال)(٩٧).

ولا شك أن القول بسقوط التكاليف مخالف لما ورد النقل به وترفضه العقول السوية والفطر السليمة وليس المقام مقام عرض للشبة والرد عليها وإنما المراد هو بيان تأثيره على بعض من يقولون به في الوقوع في الانحرافات الأخلاقية والإباحية الجنسية.

(٩٥) الفتح المبين بشرح الأربعين (ص٢٢٤).

(٩٦) مجموع الفتاوى (٥٣٩/١١).

(٩٧) الرسالة القشيرية (١٦/١) .

الخاتمة

الحمدلله والصلاة والسلام على أشرف لأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم... وبعد:

ففي ختام هذا البحث يحسن ذكر أبرز النتائج والتوصيات:

أولاً: أهم النتائج:

١- إن التصوف بدأ ببعض البدع العملية وتطور ودخلت عليه الآراء الفلسفية، وبعض العقائد من الديانة النصرانية، والديانات الوثنية.

٢- إن التصوف ينقسم إلى قسمين (التصوف البدعي)، و(التصوف الغالي) المأخوذ من العقائد البوذية والنصرانية والفلسفة اليونانية.

٣- وقوع بعض غلاة المتصوفة في فساد السلوك والإباحية الجنسية لأسباب متعددة منها ما جمعوا من أصول اعتقادية فاسدة، من أبرزها ما ذُكر في هذا البحث: (القول بوحدة الوجود، القول بالعشق الإلهي، القول بقول الجبرية في القدر، القول بقول المرجئة في الإيمان، الغلو في الأولياء وتقديسهم، القول بإسقاط التكاليف).

٤- إن عقيدة وحدة الوجود عند غلاة الصوفية القائمة على عدم التفريق بين وجود الخالق والمخلوق أدت إلى انحرافات عقدية وسلوكية متعددة وأثرت تأثيرا كبيرا على المتمسكين بها.

٥- إن القول بإسقاط التكاليف الشرعية نتيجة لبعض المعتقدات الصوفية كالقول بالكشف وارتفاع الحجب للواصلين منهم، أدت بهم إلى الانسلاخ من الدين والعياذ بالله.

٦- ما ذُكر من أصول اعتقادية فاسدة - عرف بها غلاة الصوفية- لايلزم من وجود بعض منها عند بعض أتباعهم وقوعه في الإباحية الجنسية.

٧- إن في الاقتصار على غلاة الصوفية ليس للحصر وإلا فبعض الفرق كفرق الباطنية ظهرت فيها الإباحية بشكل أكبر مما عند الصوفية.

٨- لا يلزم أن كل من اعتقد بشيء من هذه الأصول أن يقع في الإباحية الجنسية، ولكن غالب من وقع في الإباحية الجنسية من غلاة المتصوفة كان لهذه الأصول العقدية تأثيرها الواضح عليهم.

٩- تبين أن الصوفية الغالية تمثل خطرا كبيرا على الأفراد والمجتمعات في دينهم وأخلاقهم، وهي اليوم بما تحمله من انحرافات حليفة للصهوينية والعلمانية أعداء الإسلام والملة، الذين يعتبرونها الدين الوسطي المناسب لهذا العصر، لذلك لم يتأخروا عن دعمها وتقديمها لتحل محل العقيدة السلفية الصحيحة.

ثانيا: التوصيات :

١- إن هذا الموضوع وغيره من الموضوعات المتعلقة بالتصوف يحتاج إلى مزيد بحث من المتخصصين في دراسة الفرق.

٢- تكثيف الجهود في سبيل نشر العقيدة الصحيحة عقيدة السلف الصالح، والتحذير من العقائد الفاسدة وبخاصة عقيدة الصوفية لما لها من انتشار في العالم الإسلامي.

المصادر والمراجع

١- **الإبانة الكبرى.** ابن بطة العكْبري ، عبيد الله بن محمد بن محمد. تحقيق: رضا بن نعسان معطي، وآخرين. ط٢، الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.

٢- **الإبريز من كلام سيدهم عبدالعزيز الدباغ.** المالكي، أحمد بن المبارك. ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ.

٣- **اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين.** الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني. د.ط، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٤هـ.

٤- **إحياء علوم الدين.** الغزالي، محمد بن محمد. د.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

٥- **الاستقامة**. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم الحراني. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط١، السعودية: دار الفضيلة، ١٤٢٥هـ.

٦- **الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية**. السلمان، عبدالعزيز بن محمد.ط٨، د.م، د.ن.١٣٩٩هـ.

٧- **أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية المعاصرة**. الحوالي، سفر بن عبدالرحمن. د.ط، الرياض: مجلة البيان، ١٤٣١هـ.

٨- **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**. الرازي، محمد بن عمر . تحقيق: علي سامي النشار. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.

٩- **الأعمال الكاملة للحلاج**. عباس، قاسم محمد. ط١، مصر: مكتبة الأسكندرية، ٢٠٠٢م.

١٠- **الإمام الجنيد سيد الطائفتين**. المزيدي، أحمد فريد. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م.

١١-**الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل**. الجيلي، عبدالكريم بن ابراهيم. تحقيق: د.عاصم إبراهيم الكيالي.ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٢م.

١٢-**التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق**. مبارك، زكي بن عبدالسلام مبارك. مصر: دار المحرر الأدبي، د.ط ، د.ت.

١٣-**التصوف المنشأ والمصادر**. ظهير، إحسان إلهي. ط١، باكستان: إدارة الترجمة، ١٤٠٦هـ .

١٤- **التصوف في مصر ابان الدولة العثمانية**. الطويل، توفيق الطويل. ط١، مصر: مكتبة الآداب، ١٣٦٥هـ.

١٥-**تعديل السلوك الإنساني**. الخطيب، جمال محمد. ط١، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٢٣هـ.

١٦-**التعرف لمذهب أهل التصوف**. الكلاباذي، محمد بن إسحاق. تحقيق: أحمد شمس الدين. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

١٧-**التعريفات**. الجرجاني، علي بن محمد. تحقيق: جماعة من العلماء. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٣هـ.

١٨-**تلبيس إبليس**. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي أبو الفرج. ط١، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر،١٤٢١هـ.

١٩-**تهذيب اللغة**. الأزهري، محمد بن أحمد. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٢٠-**جامع الترمذي**. الترمذي. محمد بن عيسى. تحقيق: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، وآخرين. ط٢، الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤٢١هـ.

٢١-**الجامع المسند الصحيح**. البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، وآخرين. ط٢، الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤١٩هـ.

٢٢-**الجامع لأحكام القرآن**. محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي. ط١، السعودية: مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ.

٢٣-**جلاء العينين في محاكمة الأحمدين**. الألوسي، نعمان بن محمود. تقديم: علي السيد المدني. السعودية: مطبعة المدني، ١٤٠١هـ.

٢٤-**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**. أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبدالله. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ.

٢٥- **الرد على الشاذلي في حزبه**. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. تحقيق: علي العمران. ط١، السعودية: دار عالم الفوائد، ١٤٢٩هـ.

٢٦-**الرسالة القشيرية**. القشيري، عبدالكريم بن هوازن. تحقيق: عبدالحليم محمود، وآخرين. د.ط، القاهرة: دار المعارف، د.ت.

٢٧-**روضة المحبين ونزهة المشتاقين**. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

٢٨-**السنة**. الخلال، أحمد بن محمد، تحقيق: د. عطية الزهراني، ط١، الرياض: دار الراية ، ١٤١٠هـ.

٢٩-**السنن**، أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. تحقيق: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، وآخرين. ط١، الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤٢٠هـ .

٣٠-**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. الجوهري، إسماعيل بن حماد. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ .

٣١- **الصفدية**. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط٢، مصر: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ.

٣٢-**الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها**. السهلي، عبدالله بن دجين. ط١، السعودية: دار كنوز أشبيليا، ١٤٢٦هـ.

٣٣-**طريق الهجرتين وباب السعادتين**. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. ط٢، مصر: دار السلفية، ١٣٩٤هـ.

٣٤-**ظهر الإسلام**. الطباخ، أحمد أمين إبراهيم. د.ط، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ت.

٣٥-**الفتح المبين بشرح الأربعين**. الهيتمي، أحمد بن محمد. عني به: أحمد جاسم المحمد، وآخرين. ط١ السعودية: دار المنهاج، ١٤٢٨هـ.

٣٦-**فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**. عواجي، غالب بن علي. ط٧، السعودية: الدار العصرية، ١٤٣٠هـ.

٣٧-**الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط. د.ط، سوريا: مكتبة دار البيان، ١٤٠٥هـ.

٣٨- **فصوص الحكم**. ابن عربي، محي الدين بن عربي الطائي. بشرح: عبدالرزاق الكاشاني. ط١، القاهرة: آفاق للنشر، ٢٠١٦م.

٣٩-**الفكر الصوفي في ضؤ الكتاب والسنة**. عبدالرحمن عبدالخالق. ط٣، الكويت: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ.

٤٠-**فوائح الجمال وفواتح الجلال**. نجم الدين كُبرى، أحمد بن عمر بن محمد. تحقيق. د.يوسف زيدان. ط١، الكويت: دار سعاد الصباح،١٤١٣هـ.

٤١-**الفوائد**. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٣٩٣هـ.

٤٢-**كتاب العين**. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. دار ومكتبة الهلال، تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.

٤٣-**كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**. العلجوني، إسماعيل بن محمد.ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ.

٤٤-**لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية**. الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد بن علي. تقديم: محمد علي الأدلبي. د: ط، حلب: دار العلم العربي، ١٤١٣هـ..

٤٥- **مختصر تاريخ التصوف**. بكر، علاء بكر. د: ط، مصر: دار الخلفاء الراشدين، ١٤٢٩هـ.

٤٦-**المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، مسلم**. مسلم بن الحجاج القشيري. تحقيق: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، وآخرين. ط٢، الرياض: مكتبة دار السلام،١٤٢١هـ.

٤٧-**مشارق أنوار القلوب**. ابن الدباغ، عبدالرحمن بن محمد الأنصاري. تحقيق: هلموت ريتر. د.ط، بيروت: دار صادر ١٣٧٩ هـ.

٤٨-**مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية**. إدريس، إدريس محمود إدريس. ط٢، السعودية: مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ.

٤٩-**معجم اصطلاحات الصوفية**. الكاشاني، عبدالرزاق جمال الدين بن أحمد. تحقيق: عبدالعال شاهين. ط١، مصر: دار المنار، ١٤١٣هـ.

٥٠-**المعجم الفلسفي**. صليبيا، جميل صليبيا. د:ط، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.

٥١-**المفيد في مهمات التوحيد**. عبدالقادر بن محمد عطا صوفي. ط١، السعودية: دار الإمام مسلم، ١٤٣٨هـ.

٥٢-**مقالات الإسلاميين**. أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل. تحقيق: هلموت ريتر. ط٣، ألمانيا: دار فرانز شتايز، ١٤٠٠هـ.

٥٣-**الملل والنحل**. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم. د.ط، القاهرة: مؤسسة الحلبي، د:ت.

٥٤-**منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط١، الرياض: طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦ هـ.

٥٥-**الموافقات في أصول الفقه**. الشاطبي، إبراهيم بن موسى المالكي. تحقيق : عبد الله دراز. د.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

٥٦-**موضوع التصوف**. خوجه، لطف الله بن عبدالعظيم. ط١، السعودية: دار الأوراق الثقافية، ١٤٣٢هـ .

٥٧-**وحدة الأديان في عقائد الصوفية**. معلوي، سعيد محمد حسين. ط١، السعودية: مكتبة الرشد، ١٤٣٢هـ.

المواقع الإلكترونية والمجلات العلمية:

١- **مجلة الجامعة الإسلامية**. بغزة - المجلد العاشر العدد٢ (٢٠٠٢) (مقال: مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي محمود يوسف الشوبكي).

٢- **موقع تربيتنا**. (مقال: إسقاط التكاليف عند بعض الصوفية، د. محمد البريدي). http://www.tarbyatona.net/